الحركة الإسلامية المغربية الأم
elharakah@elharakah.com
achabibah@achabibah.com

الحركة
الحركة الإسلامية المغربية

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

كرنولوجيا تأسيس
الحركة الإسلامية المغربية

القســـــــم الأول

الشيخ عبد الكريم مطيع الحمدواي الحسني الهاشمي

لبناء أي حركة إسلامية ابتداءً، أو لترميمها أو إعادة بنائها، لا بد بعد الإخلاص لله وحده، من أن تستشعر خطورة ما أقدمتَ عليه من سعي في ميدانٍ هو لله وحده وعلى عينه وبيده، ميدانٍ غير قابل للخداع أو الانخداع، ولا تتحكمُ في أحداثه وتطوراته؛ إما أن تصدق فيه النيةَ وتتحملَ النتائج، أو تكذبَ فيه القصدَ وتنتظر العواقب.

كما لا بد من أن تؤمنَ بهذه الحركة وتحبَّها، وتؤثرَها على نفسك وأهلك وولدك، وتوقنَ بأحقيتها في التأسيس، وأولويتها على سائر الأولويات، وأن تفتح لها خمسة: قلبَك وعقلَك ووقتَك وبيتَك وجيبَك، وأن توسعَ دائرة أصدقائك ومعارفك واتصالاتك وخدماتك الطوعية والمجانية لمن يلجأ إليك أو ينتظرها منك.

هذه خلاصة ما خرجت به من تجربة تأسيسي للحركة الإسلامية المغربية، بذلك نجح تأسيسُها أول أمرها، وبذلك أيضا فشلت محاولات الذين تخلفوا عنها وعنا، وأرادوا الاحتفاظ بها موحدة واستثمارها ففشلوا، واكتفى كل واحد منهم باقتطاع جماعة أسس بها حزبا أو طائفة تاجر بها في سوق السياسة، وألف بين أتباعه فيها بوسائل اصطناعية من أطماع دنيا أو خيالات هوى أو ضلالات تلبيس وشيطنة.

مع ملاحظة أولية أود التنبيه لها وهي أن توثيقي لتجربة تأسيس الحركة الإسلامية المغربية كففت فيه عن ذكر كثير من الأسماء كيلا أشخصنها، أو أثير حولها أي حساسية، وأنني لا أقصد بكتابتها إلا أمرين: أولهما أن يتلافى الجيل الحالي أخطاء الماضي فينهض لتلافيها والتوبة عنها، وثانيهما أن ينهض جيل جديد يستفيد من التجربة فيتلافى أخطاءنا عند محاولته تجديد الحركة وبناءها على أسس أقوى وأمتن مما بنيناها عليه، فلا أتحمل مسؤولية أخطائنا ومسؤولية من قلدنا.

وبعد، فهذا ما خرجت به من تجربة تأسيسي للحركة الإسلامية في المغرب، وما أخرج به من الحياة وألقى به ربي صادقا محتسبا إن شاء الله، سائلا أن يتقبل مني بعض ما أديت من واجبي على تقصيري وضعفي وقلة حيلتي. أسأل الله حسن الخاتمة.

عبدالكريم محمد مطيع الحمداوي الحسني الهاشمي

غفر الله له وآواه في رحمته

لندن في: يوم الخميس 06 صفر 1442 للهجرة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام.(2020/09/24).

كرنولوجيا تأسيس الحركة الإسلامية المغربية

(الحلقة الأولى)

عندما دعاني الأخ محمد البصري رحمه الله للعضوية في الكتابة الإقليمة لحزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بالدار البيضاء توفرت لدي فرصة للاطلاع على خفايا العمل الحزبي يساريِّه ويمينيِّه، إذ لم يكن لدي من قبل أي انتماء تنظيمي لأي مؤسسة من مؤسسات الحزب وأفرعه السياسية أو الثقافية أو الشبابية، وعندما سئلت مع قَيْدومِيَيْن من مناضلي الحزب هما الأخ أحمد شاكر رئيس تحرير جريدة الحزب والأخ مبارك خليل المحامي، عن إعادة بناء الحزب في الأحياء الصفيحية بالدار البيضاء كانت فرصة أخرى لي من أجل الاطلاع الميداني على واقع المجتمع المغربي المسحوق تحت سنابك الاستغلال والاستبداد والأثرة والاحتقار والاحتكار.

وعندما يئست من جدوى الإصلاح بالآلية الحزبية وفكرت في تأسيس الحركة الإسلامية المغربية، واستأنفت تكوين أول خلية لها في بيتي سنة 1969، بزنقة حمزة الزيات المتفرع عن شارع المقاومة بالدار البيضاء، وركزت أول الأمر على شباب بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين، منهم الأخ الشفشاوني والأخ اليازغي والأخ سعيد أصواب رحمه الله، وليس فيهم رجل تجاوز سن الشباب غير الأخ عبد اللطيف عدنان الحمداوي رحمه الله، والأخ محمد العبدلاوي رحمه الله، ركزنا في دعوتنا الأولى عل استقطاب شباب من الأحياء المهمشة والهشة، فنشأت بذلك قاعدة تنظيمية عريضة قبل أن تنشأ قيادة جماعية رشيدة، واضطررت إلى محاولة تكوين قياديين لذلك الجمهور العريض المتوفر لدينا، فكان اللجوء إلى استقطاب المعلمين لعلنا نجد من بينهم من يكون أهلا للمساهمة في التربية والتوعية، إلا أن جمهور رجال التعليم حينئذ كان موزعا بين طوائف الأحزاب السياسية اليمينية واليسارية، ومع ذلك فقد عملت بالقول المأثور "ما لا يدرك كله لا يترك بعضه أو جله.

حينئذ أخذت أبحث أثناء زياراتي للمدارس عن المدرسين الأقرب إلى الالتزام الديني فأتقرب إليهم بالإحسان والكلمة الطيبة والمساعدة على حل بعض المشاكل التي تعترضهم، واخترت منهم من يساهم في رعاية الشباب وتدريسهم وتربيتهم مرة كل أسبوع.

وفي إحدى الجلسات الداخلية لسنة 1972 أثناء استعراض المرشحين لدعوتنا اقترح الأخ الشيخ محمد العبدلاوي رحمه الله مجموعة من المعلمين في حي بورنازيل من أصول بشمال المغرب منهم الإخوة التايدي وأخريف والحداد وأخوه عبد النور وشبابو، واقترح الشيخ عبد اللطيف عدنان رحمه الله معلما لم تسبق لي معرفة به إلا من خلال ما أعلمه بحكم عملي عن وظيفته في إحدى إعداديات الدار البيضاء، وما سمعته عن نشاط له في جمعية "لاميج" التي تنظم مخيمات صيفية في الأطلس هو الأخ إبراهيم كمال رحمه الله، واقترح آخرون مجموعة من معلمي مدارس ابتدائية في عين الشق يتحلقون في المسجد حول الفقيه الشيخ محمد المذكوري كنوني، هذه المجموعة كان منها الأخ القاضي برهون، والأخ أحمد الديني والأخ محمد زحل رحمه الله والأخ العياشي المنصورى رحمه الله والأخ محمد الراجي.

بهذه المجموعات من المدرسين تأسست في عين الشق جمعية شباب الدعوة الإسلامية، وتأسست في بورنازيل جمعية الشبيبة الإسلامية"، ثم جمعية "خريجي مدارس المعلمين"، وساعدني على الحصول على رخصها القانونية ابن عمة لي هو الأستاذ المختار الحمداوي رجائي مفتش وزارة الشبيبة والرياضة ورئيس مكتبها في الدار البيضاء رحمه الله، وصديق آخر كان رئيسا لقسم إداري بعمالة الدار البيضاء هو الأخ البرمكي رحمه الله، كما ساعدني في الحصول على رخص الوعظ لبعض شبابنا في بعض مساجد الدار البيضاء مقام الوالد الفقيه محمد الحمداوي السني المعتقل السابق في عهد الاستعمار، والموقع على أول وثيقة للمطالبة بالاستقلال سنة 1944، إذ أخذني إلى الرباط وعرفني بصديقه ورفيق نضاله ضد الاستعمار الفرنسي الفقيه محمد بن تاويت الطنجي رحمه الله، وكان حينئذ مسؤولا في قسم التحقيق العلمي وعن المساجد في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، فاستصدر لنا رخصا للوعظ في المساجد أولها رخصة الأخ محمد زحل، الذي تردد في الإقبال على الوعظ لعدم خبرته به مدة تقرب من سنة أو أكثر، على رغم الترخيص الذي حصل عليه، فتكفل بتدريبه على الوعظ وتجرئته عليه الأخ إبراهيم كمال نظرا لسابقته في مسجد بدرب غلف.

كرنولوجيا تأسيس الحركة الإسلامية المغربية

(الحلقة الثانية)

في الوقت الذي كنت أعمل فيه لبناء الحركة الإسلامية سنة 1969، وقد خبرت المجال السياسي والحقوقي فلاحظت أن ليس فيه للإسلام ودعوته المرتقبة حاضنة رحيمة، وأن لا بد من مرور حركتنا بما يمر به الصادقون من اعتقال ومحن ومحاكمات قد لا يجد المؤمن فيها من يدافع عنه لدى المحاكم الوضعية التي يحال إليها، لا سيما وسلك المحامين حينئذ قد هيمن عليه اليساريون وأعدوا فيه جيشا من المحامين الشباب يقودهم المحامي العتيد عبد الرحيم بوعبيد زعيم حزبهم والمقرب من الملك الحسن الثاني، وعراب السياسة الفرنسية في مجال المعارضة اليسارية المغربية، فرأيت أن أعد لحركتنا طاقما من المحامين الشباب يكونون درعا لإخوانهم في المحن، وأن أبدأ بنفسي فأطعِّم ثقافتي الإسلامية بثقافة قانونية وضعية أدافع بها لدى المحاكم كلما تعرض الدعاة المحتمل متابعتهم للمحاكمات الظالمة المرتقبة، فالتحقت بكلية الحقوق وحصلت على الإجازة في القانون ثم التحقت بقسم دبلوم الدراسات العليا – قانون عام -، وتكاملت لدي بذلك علومي الشرعية بالعلوم الوضعية، على رغم استغنائي عن ذلك في وظيفتي، ويقيني بأن مهنة المحاماة لا تليق بي إلا باعتبار أن ما لا يدرك الواجب إلا به واجب.

إلا أن الله سبحانه - حكمة منه ورحمة بي - أقعدني عن تقديم استقالتي من وظيفتي رئيسا للمكتب التربوي في التعليم، وعن السعي للانخراط في سلك المحاماة، وقيض لي مسارا خيرا من ذلك كله هو الهجرة في سبيله والتفرغ لدعوته. ولكنني استفدت من تلك الدراسات القانونية لاحقا فكتبت على ضوئها مرافعتي للدفاع عن الأخ إبراهيم كمال أثناء هجرتي في مكة المكرمة على ضوء ملف التحقيقات الكامل الذي أحضره لي المحامي الأستاذ المامون الفاسي، وطبعتها في مكتب الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض، وأرسلت ثلاث نسخ منها بواسطة أحد طلبتنا في السعودية هو الأخ عز الدين العلام، فسلمت للأستاذ عبد السلام جمال الدين الذي تلاها أثناء المحاكمة، ثم كلفت بطباعتها في كتاب بباريس أخا آخر جزاه الله خيرا.

ثم بعد ذلك فوجئت بثمرة بعض من توجه من شبابنا بعد المحنة إلى المحاماة، إذ أخبرني الأخ الشيخ عبد اللطيف عدنان الحمداوي رحمه الله عندما زارني سرا في طرابلس الغرب - ليبيا، وقد رفعت ضده دعوى الإفراغ من بيته، فوكل أحد تلامذته المحامين الشباب بالدفاع عنه وأعطاه مقابل ذلك ألفي درهم، وجرى النظر في الدعوى فتخلف المحامي الإسلامي الشاب خريج الحركة الإسلامية عن الحضور وصدر الحكم بإخراج الشيخ عبد اللطيف من بيته، ولم يعتذر (ابننا المحامي!؟) ولم يرد ما أخذه بغير حق، وتعلمت من هذا كله أن الثقة بالله وتسليم الأمر كله له تعالى، خير منجاة للمرء من قضاء الله وقدره، وأن التحسُّب لما يقع من الغيب وما لا يقع، وترقب الخير ممن لم يبد خيره من شره، رجم بالغيب ومسابقة غبية فاشلة للأحداث، قال تعالى: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} الكهف 23 – 24.

كرنولوجيا تأسيس الحركة الإسلامية المغربية

(الحلقة الثالثة)

في مستهل مرحلة التأسيس واجهتني أول عقبة، وهي الإعداد العقدي والفكري والسياسي للشباب، لأن القلة الأولى من المدرسين كانوا من المدارس الابتدائية وليس لهم تكوين جامعي يسمح لهم بإعداد ما تحتاجه الحالة، والشباب الذين بين أيديهم تحت التأسيس كانوا مندفعين ويحتاجون إلى الانضباط والصبر على التعلم والتربية وتعوُّدِ الحكمة، والحلقات التي تعقد أسبوعيا تعددت واتسعت وصار من المتعذر متابعتها كلها، والدروس التي تلقى عليهم كانت شفوية سرعان ما تنسى ولا يبقى لها أثر لديهم، وانتماء كثير منهم كان إلى طبقات اجتماعية بسيطة ليس لها تقاليد تساهم في إنضاج ما يتلقونه، لذلك دعت الضرورة إلى أن أحرر كل أسبوع درسا أطبعه في نسخ كثيرة توزع على الخلايا، فاشتريت آلة طابعة وآلة رونيو، وضعتهما في "كراج" بيتي وحولته مكتبا ومكانا لطباعة كل ما نحتاج إليه، ولم أجد أي صعوبة في ذلك، لأني كنت أتقن الطباعة من أيام عملي في المقاومة المسلحة مع الشهيد الفطواكي وصحبه الكرام رحمهم الله في مراكش مكلفا بكتابة المناشير السرية وطباعتها ونشرها.

هكذا تغلبنا على معضلة تكريس ما ندعو إليه في أذهان الشباب، وعلى تبليغ ذلك بواسطة المدرسين الذين لم تسبق لهم أي خبرة سياسية أو حركية فيما سوى التعليم، ومع ذلك تخوف بعضهم من هذا التطور في نظام العمل والدعوة، ثم ما لبثوا أن تجاوزوا هذه العقبة.

وكان مما واجهني في عملية شراء الطابعة والرونيو أنَّ باعَتَهما حينئذ كانت لهم تعليمات بألا يبيعوها إلا للمؤسسات الرسمية وبترخيص أمني رسمي، فاشتريت الآلة الكاتبة على أنها لمكتبي التربوي الذي أشرف عليه، وكلفت صديقا لي في اسبانيا بأن يشتري لي آلة الرونيو، ثم أرسلت أحد شبابنا إليه في غرناطة فحملها إلينا، وساعدني أحد الأصهار الطيبين رحمه الله، من العاملين في الميناء على إخراجها من الباخرة وتسلُّمِها. وتكفل نفس الأخ الذي أتى بها من اسبانيا بالإشراف عليها واستحضار حاجيات استعمالها حبرا وأوراقا وأدوات مكتبية.

من غرائب الصدف أن هذا الكراج هو نفسه الذي كنت أستعمله مع الأخ البشير الفكيكي لطباعة مناشير الحملة الاحتجاجية على اختطاف المهدي بن بركة واغتياله في 29 أكتوبر 1965، وكان البشير يحضر معه كل مرة آلة الرونيو الخاصة بالحزب لاستعمالها، وكان من المشاركين في الحملة معنا عمر بنجلون وعابد الجابري والصحفيان حسن العلوي والبوسرغيني وغيرهم، وهو نفس الكراج الذي هاجمه البوليس المغربي عقب هجرتي سنة 1975، وأغلقه بالشمع الأحمر، وتركته العائلة كذلك مغلقا بالشمع الأحمر عقب مغادرتها المغرب، وبقي كذلك إلى أن هدمت الدولة البيت كله ومحت أثره وحولته مركزا أمنيا، وكان عنوانه حينئذ: رقم 4 زنقة حمزة الزيات المتفرعة عن شارع المقاومة بالدار البيضاء.

كرنولوجيا تأسيس الحركة الإسلامية المغربية

(الحلقة الرابعة)

كان أول ما واجه حركتنا الناشئة ضرورة اختراق المجتمع بمنهاج تربوي حركي تعليمي كفيل بتحقيق ما نرمي إليه وإقامة المشروع الإحيائي الذي نطمح له.

أما الجانب التربوي التعليمي فأوله المتعلق بتوعية الإخوة المعلمين، إذ لم يكن لكثير منهم تجربة حركية أو جمعوية أو خبرة سياسية بما نحن فيه وما نريده، ثم المتعلق بالجلسات الأسبوعية للطلبة التي يشرف عليها الإخوة المعلمون، لذلك قسمنا الإخوة المعلمين إلى خلايا كل منها تضم حوالي سبعة أفراد تقريبا يجتمعون مرة كل أسبوع فيتحاورون حول الدرس الأسبوعي الفكري والحركي الذي كنت أكتبه وأطبعه في بيتي وأتلوه عليهم وأشرح لهم أبعاده، وأجعل بين أيديهم نسخا منه مطبوعة، كي يبلغوه بدورهم إلى الطلبة ويشرحونه لهم، مرفوقا بقراءة في تفسير ابن كثير يختارونها ويتلوها عليهم أحدهم، وأخرى في السيرة النبوية يتلوها عليهم غيره. ثم يتدارسون في نفس الجلسة كافة الدروس التي يقدمونها والصعوبات التي يواجهونها في التعامل مع الطلبة الذين يؤوونهم في بيوتهم ويشرفون عليهم تربويا وحركيا، وساعدني على تنظيم هذه الخطوات وضبطها والقيام بها ما سبق لي من الخبرة في التدريس بمدارس المعلمين وبمعهد تكوين مفتشي التعليم بالرباط، وما لدي عند الإخوة المعلمين من محبة واحترام وثقة بصفتي مسؤولا عنهم مهنيا ورئيسا للقسم التربوى في نيابة التعليم بالدار البيضاء، وما أعاملهم به في المجال المهني والعلاقات العامة من احترام لهم وتقدير لجهودهم ومودة صادقة لهم.

وأما أمر الجمعيات الرسمية التى تأسست قانونيا فقد كان أول عائق للاستفادة منها هو انعدام الخبرة الجمعوية لدى أعضائها، لذلك عمدت أولا إلى جمعية الشبيبة الإسلامية في حي بورنازيل وكان جل أعضائها من شمال المغرب (طنجة والحسيمة وبركان وجبال الريف مطلقا) ولهم من حسن الخلق والجدية والصدق ودماثة الخلق ما تميز به أهل تلك المنطقة، ولكنهم كانوا يعيشون كغرباء في الدار البيضاء والجنوب المغربي، لحداثة استقلال شمال المغرب وتوحيده مع جنوبه، فعمدت لتشويقهم إلى معرفة الجزء الجنوبي من وطنهم وتنظيم رحلة سياحية علمية إلى مدينة أكادير

ومنطقة سوس وضواحيها، وإذ تخوف بعضهم من القيام بذلك خشية المساءلة القانونية طمأنتهم بأن لجمعيتهم الناشئة ترخيصا رسميا للقيام بمثل هذا النشاط الجمعوي، ثم أخذت لهم إذنا بذلك من لدن وزارة الشبيبة والرياضة عن طريق ممثلها في الدار البيضاء ابن العمة الأخ مختار الحمداوي رجائي رحمه الله، وكلفت الأخ التايدي والأخ الحاج الحداد وكانا أنشط الجميع وأكثرهم حماسا وحركية، بتكوين لجنة تضع برنامج الرحلة وتحدد الأماكن التي تزار أثناءها، وتقدر قيمة الاشتراك فيها بما يغطي حاجاتها المادية والمعنوية، وتتعاقد مع شركة حافلات للنقل العمومي تقوم بنقلهم، فتم إعداد ذلك على أحسن ما يرام، وودعتهم في فجر يوم الانطلاق بعد صلاة الصبح، ظانا أن جميع الصعوبات قد ذللت، إلا أنني في مساء نفس اليوم رن جرس هاتف مكتبي فإذا بها مكالمة من رئيس الدرك الملكي على بوابة أكادير يسألني: هل أنت فلان، قلت نعم، قال: لقد أوقفنا حافلتين كبيرتين بهما حوالي سبعين فردا عند مدخل أكادير وذكروا أنك من أرسلتهم في رحلتهم إلى الجنوب وأنهم يمثلون جمعية الشبيبة الإسلامية فهل هذا صحيح؟ أجبته بأن ما ذكروه لكم هو عين الحقيقة، وما عليكم للتأكد من ذلك إلا الاتصال بإدارة وزارة الشبيبة والرياضة في الدار البيضاء ورئيسها الأخ المختار الحمداوي رجائي، على الهاتف رقم... فودعني على أن يتأكد من الأمر، وبعد حوالي عشر دقائق عاد إلى مهاتفتي معتذرا بكل أدب وأخبرني بأنه أفرج عن الحافلتين ومن فيها، وتمت بذلك أول رحلة لأول جمعية للحركة الإسلامية المغربية بنجاح، وعاد المشاركون فيها إلى الدار البيضاء أكثر حماسا وثقة وتجربة وعزما على مواصلة الطريق.

أما عن جمعية شباب الدعوة في عين الشق وفيها حوالي ثمانية معلمين من نفس المنطقة منهم الأخ الراجي وهو أنشطهم لما سبق له من نشاط في جماعة التبليغ، والأخوان زحل والمنصورى، فقد كلفت الأخ الراجي بالبحث عن مقر للجمعية واستئجاره، فقام بذلك خير قيام، إذ عثر على كراج مهجور ثم تكفل مع غيره بتبييضه وفرشه بحصر جديدة وتزويده بسبورة سوداء، ولكن بعد حوالي أسبوعين لم يوفق الإخوة إلى تفعيل الجمعية أو الاستفادة من مقرها، لوقوعها منعزلة في أطراف حي عين الشق، ووقوع الحي نفسه حينئذ منعزلا في أطراف الدار البيضاء، فزرتهم واقترحت عليهم أن ينظموا في المقر حفلة شاى تعارفية يدعون لها عامة سكان الحي كبارا وشبابا وأطفالا، وبعد أن وزعت الحلوى والشاي على الحاضرين وفي قمة انشراحهم، توجهت

إلى السبورة وكتبت عليها آية قرآنية قصيرة شرحتها، ثم قمت بتحفيظها للحاضرين كلمة كلمة، ثم كتبت حديثا نبويا شرحته وحفظته لهم على نفس النحو، وبعد أن ودعنا ضيوف الحفل وهم في قمة رضاهم، خاطبت الإخوة أعضاء الجمعية قائلا: على هذا النحو فانحوا بارك الله فيكم وأنجح مساعيكم... وبهذا سارت أول خطوات هذه الجمعية أيضا.

كرنولوجيا تأسيس الحركة الإسلامية المغربية

(الحلقة الخامسة)

كان الإنفاق من أهم عقبات التأسيس التي واجهتنا، وكان جمهور حركتنا قد اتسع كثيرا ولا يكاد يستوعب أننا نبني حركة تغيير إلا بصعوبة وضبابية، جمهور من طلبة أغلبهم فقراء، وأوساط شعبية هي نفسها تحتاج إلى المساعدة، ومعلمين لا يكاد راتبهم الشهري يغطي نفقة أسرهم وإيجار بيوتهم، وعندما شكا بعضهم في خلية للمعلمين ندرة كتب الفكر الإسلامي وغلاء ثمنها اقترحت عليهم اتخاذ أمين منهم يدخرون لديه مساهمة مادية أسبوعية قدرها ربع درهم، والدرهم حينئذ ربع دولار، يخصصونها لشراء ما يحتاجونه من مراجع، فوافقوا وواظبوا على ذلك حوالي شهرين تقريبا ثم بدا من أحدهم تضايق من الادخار وشبَّهَه بعمل النقابات، فلما بلغني الخبر، اكتفيت حفاظا على الصف الذي كان هشا بأن سألت في لقائهم الأسبوعي أمينهم عن مبلغ ما جمع لديه فذكر القدر وأشرت عليهم أن يشتروا به كتبا يدرسونها فوافقوا وكلفت أمينهم بأن يصحب معه أخوين إلى إحدى المكتبات لتنفيذ رغبتهم، وفي الجلسة الأسبوعية الموالية أمرتهم بإلغاء عملية الادخار مطلقا تجنبا مني لأي فتنة.

كان موضوع الإنفاق المالي هاجسا يؤرقني، وعائقا مهما في طريق بناء الحركة، والإنفاق عادة لا تطيب له إلا نفوس من يعرف هدفه ومسعاه، وهذه المعرفة لم تكن متوفرة لدى أكثرهم، ولما طرحت موضوعه على خاصة الإخوة لم أجد فيهم من له القدرة على المساهمة إلا الأخ عبد اللطيف عدنان وكانت زوجته مدرسة تساعده براتبها، والأخ محمد العبدلاوي وزوجته مديرة مدرسة ابتدائية تساعده كذلك براتبها، وله بيت في مدينة سلا يتسلم إيجاره الشهري، والأخ سعيد أصواب صاحب مكتبة بسيطة في شارع آيت افلمان بالدار البيضاء، وأنا رابعهم براتبي الشهري وراتب زوجتي، ثم لما علمت الوالدة رحمها الله بالأمر وكانت تجالس زوجتي في حلقاتها التأسيسة الأولى للقطاع النسائي، ولها قطعة أرض زراعية ورثتها من أبيها في الشاوية العليا، وضعتها بين يديَّ على أن أخصص محصولها للحركة، فوضعتها كذلك بيد أحد شبابنا يسمى (عبد الله بن الشيخ) والده من كبار الفلاحين وشيخ بقبيلة أولاد امحمد الهلالية، المجاورة لقبائل حمداوة بالشاوية العليا، كي يستثمرها وينفق من ريعها على الدعوة، وتحملت مع الأخ عبد اللطيف عدنان والأخ العبدلاوي جميع النفقات الأخرى، كل من

موقعه وحسب طاقته، وتحمل الأخ سعيد أصواب توفير الأدوات المدرسية من أقلام ودفاتر وكتب مدرسية وغيرها لطلبتنا الفقراء على كثرتهم في بداية كل موسم دراسي وأثناءه، فكنت أرسل إليه صاحب الحاجة من الطلبة مزودا برسالة موقعة مني فيوفر له حاجته، على أن يودع عنده الإخوة الكبار صدقاتهم وزكوات عيد فطرهم لنفس الغاية، فقام بذلك بكل أريحية وكرم وخفف عنا هم حاجة فقرائنا من التلاميذ والطلبة. أما النفقات الأخرى فكانت شخصية، تنقلا وطباعة للدروس الأسبوعية أو شراء لكتب نزود بها الخلايا الطلابية وخلايا المعلمين، أو أسفارا دعوية بين المدن، أو استضافات دعوية لمن نطمع في تأليف قلوبهم وكانت لكثرتها لا تكاد تعد، فكنت مع الأخ عبد اللطيف عدنان والأخ العبدلاوي نتكفل بها حسب استطاعتنا، حتى إذا كلفنا أحدا من غيرنا بإقامتها في بيته مكناه من تكاليفها المادية، خشية أن نفتح بابا لفتنة شيطانية لا قدرة لنا على إغلاقه وصفنا على ما هو عليه من الهشاشة. وكانت هذه هي الثغرة التي عانيناها طيلة حركتنا، إذ لم نعود أبناء الحركة على العطاء.

ثم كانت الثلمة الأولى في صفنا بموت الأخوين محمد العبدلاوي وسعيد أصواب رحمهما الله.

أما الأخ العبدلاوي فكان يعاوده ألم خفيف بين الفينة والأخرى، ثم اشتد به الألم مرة فأخذته بنفسي إلى عيادة دكتور معروف ومشهور أعرفه جيدا أجرى له الفحوص اللازمة وقرر التعجيل بعملة جراحية له بتنسيق مع ابن أخت له ممرض بدرجة مساعد طبيب، فوافقت زوجته وأجريت له العملية، إلا أني فوجئت بالطبيب الجراح يدعوني هاتفيا بعد العملية مباشرة لزيارته منفردا في مكتبه، وعند زيارته أسر إليَّ بأن الأخ مصاب بسرطان حاد وسريع في الجهاز الهضمي، وقد استؤصل الجزء المصاب، ولكن المرض قد يعود بعد حوالي ستة أشهر ويكون مميتا لا محالة، وليس من المناسب أن نخبره بالأمر أو نخبر أسرته كي يقضي الأخ مرتاحا هذه الفترة المتبقية له من الحياة والتي قدرها بحوالي ستة أشهر، وفعلا خرج الأخ من المستشفى وظهرت عليه معالم الشفاء وسافر بسيارته إلى مسقط رأسه بالصحراء الشرقية (قصر السوق وما حوله) حيث عاوده المرض، فرجع إلى بيته بمدينة سلا، واضطر ابن أخته الممرض أن يخبره بحقيقة حالته الصحية، كي يرتب أمر عائلته وأبنائه ويترك وصيته، فتقبل رحمه الله الخبر بصدر رحب وبكى قليلا ثم عكف على تلاوة القرآن ويردد طيلة ما بقي له من الحياة (إنا لله وإنا إليه راجعون..)، وفي ليلة وفاته خاطب زوجته فقال: (فلانة أرى أنني

أثقلت عليك بمرضي وبما تأخر عني مِنْ قدَر الله، لقد جاء الفرج إن شاء الله، أنيمي الأطفال هذه الليلة مبكرا وأيقظيهم غدا مبكرا وعجلي لهم بطعام الإفطار)، وفي ضحى اليوم الموالي قال لها نظفي بيتك ورتبيه بسرعة، ثم بعد الزوال سمع تكبيرا في الشارع فقال لزوجته انظري مصدر التكبير فرجعت إليه وقالت: (نعش يحمله بضعة أفراد إلى المقبرة، ويبدو أن الميت فقير ولا مشيعين له)، فترحم عليه وقال لها: (هات قماشا نظيفا وضعيه على رأسي ووجهي ثم اتركيني أرتاح فترة)، ففعلت ما أمرت به، ثم غابت لحظات وعادت فوجدته قد التحق بالرفيق الأعلى. وكنت قد زرته قبل وفاته بيومين صحبة أحد الإخوة فوجدته نموذج الصابر المحتسب وقد أكل المرض جسده فلم يبق منه إلا مثل فرخ دجاج له عينان حادتان ينبعث منهما نور مشع، وعندما قبلت رأسه مودعا استوقفني وخاطبني بلهجة الواثق: (اسمع يا أخي، إنكم على الحق فاثبتوا وإن الدنيا غرارة فلا تغرنكم وإنكم ملاقون شدائد فاصبروا). رحم الله أخانا وأسكنه الجنة بواسع رحمته وفضله، فقد كان سباقا إلى فعل الخيرات وسباقا إلى الآخرة.

وأما الثلمة الثانية فموت الأخ سعيد أصواب، وذلك أنني فوجئت بمكالمة هاتفية منه ذات يوم أخبرني فيها بأنه نزيل بمستشفى خاص وأجريت له عملية جراحية. فضَّلَ ألا يخبرني بها كيلا أثنيه عنها، وفعلا زرته وواظبت على زيارته يوميا، وفي يوم الجمعة الموالي خرجت من المسجد بعد صلاة الجمعة وزرته مباشرة في غرفته بالمستشفى، وعندما أخذت كرسيا عند رأسه وجلست نظر إلي وسأل: من هذان اللذان رافقاك؟ قلت: جئت وحدي، قال بل جاء معك شخصان أراهما جالسين قريبا منك عن يمينك وعليهما ثياب بيض، ولم يكد يتم حديثه حتى دخل الطبيب الجراح لمراقبة حالته الصحية وطلب مني الانتظار خارج الغرفة، وفعلا مكثت على باب الغرفة لحظات فخرج الطبيب يعلن أسفه وتعزيته في وفاة أخينا سعيد أصواب، رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته.

كرنولوجيا تأسيس الحركة الإسلامية المغربية

(الحلقة السادسة)

كنا زمن التأسيس في أشد الحاجة إلى وعاظ في المساجد للوصول إلى جمهور العامة وتكوين حاضنة اجتماعية بهم، وإلى كتاب يساهمون في كتابة دروس تربوية وفكرية أسبوعية نزود بها طلبتنا، ولكن رجال التعليم حينئذ كانوا فئتين، فئة رجال التعليم الثانوي من خريجي الجامعات وقد سبقتنا إليهم التيارات الفكرية العلمانية والاشتراكية والشيوعية لينينية وتروتسكية واستقطبتهم أحزاب المعارضة، وبذلتُ جهودا حثيثة ومرهقة لاستقطاب بعضهم من أمثال صديقين سابقين لي هما الأخوان سالم يافوت ومؤيد، وغيرهما من أبرز أساتذة التعليم الثانوي حينئذ، وتوسلت إلى ذلك بمختلف الخدمات الإدارية أقدمها لهم، وما أدعوهم إليه من جلسات حوار في بيتي لم تكن ذات جدوى.

وفئة معلمي المدارس الابتدائية والملحقين منهم بالمدارس الإعدادية، المتكاثرين في صفنا وقد التحقوا بسلك التعليم عقب حصولهم على شهادة الدروس الإعدادية وتخرجهم من مدارس المعلمين الابتدائية أو باختيار مباشر عقب نجاحهم في مباريات تجرى لمن ليس له شهادة، ولكن قدراتهم العلمية كانت محتاجة إلى مزيد شحذ يؤهلهم للكتابة التربوية والفكرية وغشيان الوعظ في المساجد، لذلك لم يكن لديَّ إلا أن أنظم دورات داخلية لاختيار بعض الإخوة منهم أدربهم فيها على الكتابة التربوية والفكرية وعلى الخطابة في المساجد.

أما الكتابة التربوية والفكرية للدروس الأسبوعية فقد جمعت لها إخوة عربيتهم جيدة، ودرست معهم أصول الكتابة العلمية والصحفية ومفاصلها، إلا أني لم أجد لهم استعدادا للقيام بذلك فصرفت النظر عن الموضوع منتظرا أن يتخرج طلبتنا الجامعيون فيسدوا هذه الثغرة.

وأما الوعظ في المساجد فواجهتنا ثلاث عقبات:

أولاهما رخص غشيان المساجد والقيام بالوعظ فيها، وقد تغلبنا عليها بمساعدة قريبي الشيخ محمد الحمداوي السني وتدخله لدى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عن

طريق الفقيه الطنجي رئيس قسم المساجد والأستاذ عبد القادر الصحراوي مدير مجلتها "دعوة الحق".

والعقبة الثانية كانت متعلقة بالخبرة العلمية لمن اختيروا لهذا العمل، فجمعتهم على فترات وحاورتهم في الموضوع وكان أهم عائق لهم هو القدرة على اختيار دروس الوعظ الأسبوعية، واتفقنا للتغلب عليها بأن يختار كل منهم موضوعا من تفسير ابن كثير، فيحفظه عن ظهر قلب ثم يلقيه عدة مرات على تلامذته في المدرسة ثم في عدد من المساجد، وأكدت لهم أن المواظبة على هذا النهج فى الاستعداد والإعداد سوف تكوِّنُ لديهم ملَكةَ الوعظ والقدرةَ على إلقاء الدروس أمام العامة، وتُجَمِّعُ لديهم رصيدا من القول فيما هم بصدده ، وحينئذ ستستفيد الحركة من وجودهم وجهودهم إن شاء الله.

وأما العقبة الثالثة فكانت الجراءة على مواجهة جمهور العامة في المساجد، وكانت بالفعل كأداء، لأنها منبعثة من ذات كل امرئ وتربيته الاجتماعية، وهذه تغلَّبنا عليها بأمرين: أولهما تكليف كل من له في عمارة سكنه ملحقٌ لجمع مخلفات السكان أن يقنع جيرانه بتحويل هذا الملحق إلى قاعة قريبة منهم للصلاة، وأن يقوم بعد تنظيفها وفرشها بدعوة جيرانه للصلاة فيها ووعظهم وإمامتهم بها، وقد نجحت هذه الفكرة وانتشر خبرها وعملت كثير من أحياء الدار البيضاء بها.

والأمر الثاني هو الاستفادة من الرخص الرسمية التي حصل عليها البعض، وكان أكثر المعلمين جراءة في الأمر هو الأخ التايدي في بورنازيل والأخ إبراهيم كمال لما سبق للأول منهما من التأثر بالشيخ الصمدي الإمام ببعض مساجد الدار البيضاء، وللثاني من دربة على العمل الجمعوي في جمعية (لاميج) التابعة للشبيبة والرياضة التي تنظم مخيمات صيفية تلاميذية في الأطلس، ولما سبق له من دروس وعظية يلقيها في مسجد شعبي بدرب غلف.

وكان أول من حصل منهم على رخصة الوعظ في المساجد هو الأخ زحل، ولكنه تردد في العمل بها، فأخذه الأخ كمال بسيارته إلى مسجده بدرب غلف، وقدمه للمصلين فألقى الدرس المعد من تفسير ابن كثير والذي تدرب بإلقائه على تلامذة فصله، حسب الخطة المقررة، ولكنه لم يستطع المواصلة معتذرا بأنه لا يستطيع التنقل بين المساجد لبعد سكنه في عين الشق عن كثير منها، فتنازلتُ له عن إحدى سيارتيَّ (فيات 25)، ولكنه اعتذر بعدم حصوله عى رخصة سياقة، وعدم قدرته المادية على تغطية

نفقات بنزينها، فتطوع الأخ محمد الراجي وكان جارا له كريما، وله تجربة في الدعوة مع جماعة التبليغ ودربة على الخدمة في سبيل الله، وتكفل بسياقتها به إلى المساجد وصيانتها وتزويدها بالبنزين.. هكذا بدأت أولى خطوات الوعظ في المساجد، ثم أتقن إخوتنا المنبريات بما فيها من سلبيات وإيجابيات. وتكونت حول حركتنا حاضنة شعبية واسعة، لم يحسن أحد الاستفادة منها ولا توجيهها منذ نزل بنا البلاء من سنة 1975 إلى حد الآن. رحم الله من مات من إخوتنا في الله وغفر لنا ولهم، ولله في خلقه حكم لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى.

كرنولوجيا تأسيس الحركة الإسلامية المغربية

(الحلقة السابعة)

كان الهدف في مرحلة التأسيس أن تغطي حركتنا كل المجالات الاجتماعية، ولو ببذرة يسيرة تنمو مع الزمن، كي تتسع حاضنتنا في وسط سبقتنا إليه التنظيمات اليسارية (الاتحاد الوطني للقوات الشعبية)، والشيوعية (حزب على يعطة)، والوطنية (حزب الاستقلال)، والماركسية المتطرفه (حركة إلى الأمام بامتداداتها بين طلبة الثانويات ذوي النزعة الثورية العنيفة)، وكان مشاعا بين العامة والخاصة أن المتدينين متخلفون ومتزمتون وغير منفتحين، فرأيت أن أكسر الحصار المضروب علينا بهذه الأحكام الاعتباطية المسبقة بأمرين:

أولهما أن يحاول الطلبة والتلاميذ تخصيص قاعات للصلاة في ثانوياتهم وإعداديا تهم باتفاق ودي مع مديري هذه المؤسسات وحراسها العامين، الذين كانت لي بهم صلة ود وتعاون إداري، كلما تعذر عليهم حل بعض المشاكل المتعلقة بإداراتهم أعنتهم عليها، وقد نجحت الفكرة فلم تمر فترة شهرين أو ثلاثة حتى كانت أغلب المدارس الثانوية والإعدادية بها قاعات للصلاة يشرف عليها أبناؤنا.

والثانية إظهار حركتنا بمظهر لا يعادي الفنون الثقافية المعاصرة السوية فكرا وأخلاقا، كي تنفتح لنا القلوب والعقول والمجتمع، وكانت مدرسة أبي ذر الغفاري الابتدائية بحي مارتيني نقطة البدء في هذه المسيرة، مع تجربة لي سابقة في عهد الاستعمار وأنا في حوالي السادسة عشرة من عمري عضو بفرقة المنار المسرحية التابعة لحزب الاستقلال، في عرضها لمسرحية "مسمار جحا" للكاتب الشاعر المسرحي الحضرمي علي أحمد باكثير، ومديرها محمد التازي (الدكتور الباحث فيما بعد) والملقن اللغوي للممثلين فيها محمد الكتاني (عضو الديوان الملكي في عهد الاستقلال)، والمخرج أحمد العبدي الركيبي (نائب مفتش التعليم العربي في الدار البيضاء في عهد الاستقلال). وتجربة أخرى لي في نفس المرحلة الشبابية إذ حاولت في فترة ما التدرب على رياضة الكاراتي ببعض نواديها.

مناسبة ما ذكرت أنني عند ما كنت أجالس خلية معلمي مدرسة أبي ذر الغفاري بحي درب مارتيني التي يشرف عليها الأخ محمد الرامي وكان من كرام إخوتنا جدية وحياء

وثقافة وتضحية، وجرى الحديث عن الانفتاح على المجتمع اكتشفت أن معنا في الخلية أخوين أحدهما ممثل في فرقة مسرحية رائدة وله علاقة صداقة بمدير المسرح البلدي المقام منذ عهد الاستعمار، والثاني مدرب كاراتي في بعض نواديه، وتمخض الحديث بيننا في الخلية على أن يقوم الأخ الممثل بتكوين فرقة مسرحية تعرض فصلا من فصول مسرحية "ملحمة عمر بن الخطاب" لعلي أحمد باكثير، وأن يضاف إلى ذلك عرض لرياضة الكاراتي تقوم به مجموعة من الإخوة المعلمين يدربون عليها. على أن يقوم الأخ الممثل بتذليل صعوبات الحصول على موافقة مدير المسرح البلدي وتساهله في قضية الرسوم المادية المقررة للعروض المسرحية عادة، إلا اننا وجدنا عند المدير أكثر مما أملناه إذ أعفانا من جميع الرسوم المستحقة، فتمت العروض المسرحية والرياضية على شكل أعراس امتلأت بها أركان المسرح البلدي وضاقت على سعتها بآلاف الحضور الذين سعدوا برؤية شكل جديد من الفن الإسلامي الملتزم.

إلا أن هذين النجاحين كان لهما عواقبهما الإيجابية والسلبية، في المجال السياسي لدى الأحزاب القائمة، ولدى الأجهزة الرسمية عليا ودنيا، وعلى صعيد المؤسسات التعليمية بين الطلبة والأساتذة والمديرين، مما قد تتاح ظروف شرحها مستقبلا إن شاء الله.

كرنولوجيا تأسيس الحركة الإسلامية المغربية

(الحلقة الثامنة)

كنت حليق الوجه في بداية تأسيسي للحركة الإسلامية المغربية، حتى إذا زارني أحد طلبتنا وسألني عن حكم إسبال اللحية ابتسمت وتلمست وجهي وأجبت: اللحية سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله تعالى يقول:{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} آل عمران 31، ثم أردفتُ: "وعليَّ وعليك من الآن أن نكف عن حلاقتها، جزاك الله خيرا يا ولدي"؛ والغريب الذي أثار انتباهي بعد ذلك أنني عندما زرت المملكة السعودية لحضور بعض المؤتمرات الإسلامية التقيت بكثير من قادة الإخوان المسلمين في المجال الفكري والحركي فوجدتهم حليقي اللحى ويجادلون فيها، وكذلك عندما زارنا بعض قادتهم في المغرب بعد أن تعرفنا عليهم.

لقد انتبهت بسؤال هذا الشاب اليافع إلى جانب أساس في التربية وإعادة التربية هو أن يطابق فعل الداعية قوله، وإلى أن فتياننا قد نضج وعيهم الديني، وعلينا جميعا أن يطابق ادعاؤنا دعوانا، فخصصت درسا مطبوعا لهذا المبدأ ووزعته على الجميع، فكانت فيه البركة وانصلح به من سلوك كثير من كبار حركتنا وصغارها ما كان في حاجة إلى إصلاح، وأخذ كل من رأى مخالفة في الصف زارني في البيت مخبرا، أحدهم زارني حول أخ كبير يسكن بحي شعبي وإحدى بناته سافرة، وآخر حول أخ كان يأخذ زوجته إلى السينما، وآخر كان يأخذها إلى البحر للسباحة، وقليل من كبارنا كان يدخن خلسة، إلا أن عملية التربية وإعادة التربية بالقدوة الحسنة والتنافس على اتباع الحق وتشجيع التناصح بالستر والحسنى، كل ذلك ساعد على ضبط الصف وتنقيته من شوائب العادات والممارسات.

وحينئذ انتبهت إلى ضرورة العناية بالفتيات بجانب ما نحاوله مع الفتيان، وأقنعت زوجتي- وهي مدرسة من أسرة محافظة متدينة - بضرورة تكوين خلية من طالبات المعاهد الثانوية وإعادة تربيتهن بالعقيدة السوية والخلق الكريم والالتزام الواعي القويم، فوجدت لديها كل استعداد وحماس، واتفقت معها على أن تخصص مساء كل جمعة لاستقبالهن في البيت، لا سيما والبيت في تلك الساعات من يوم الجمعة لا يكون فيه إلا أطفالي الصغار، وهم ما بين السنة الثانية والخامسة، أما ابني البالغ من العمر

حوالي الثالثة عشرة من عمره فقد ألزمته أن يغادر البيت كل جمعة بعد تناول طعام الغذاء مباشرة ولا يعود إلا بعد المغرب، وطلبت من كل طالب من طلبتنا إن كانت له أخت في مستوى التعليم الثانوي، أن يبعثها إلى حلقة بيتي التي تشرف عليه زوجتي أم البنين.

وكنت قبل كل جمعة، مساء يوم الخميس أعد مع أم البنين ما تحتاجه من دروس تلقيها على الفتيات، وما تلقاهن به من الضيافة، فإذا حضرن صلَّت بهن العصر وأحيانا المغرب أيضا، وكانت الدروس الأولى مركزة على العقيدة والأخلاق من الكتاب والسنة، والالتزام بالعبادات والحجاب، بذلك كانت هذه الخلية أول ظهور للحجاب في ثانويات الدار البيضاء وإعدادياتها بل وطالبَتْ بعضُ فتياتنا بتأسيس قاعات للصلاة فيها، فأثار هذا الظهور وتلك المطالب صعوبات لفتياتنا في حياتهن الدراسية وردود فعل عنفوانية وعدوانية لدى بعض مديرات هذه المدارس ومعلماتها، ولكن فتياتنا تغلبن على كل ذلك بالصبر والمصابرة، وكانت الطالبة "عائشة" رائدة فتياتنا ونموذجهن في الحماس والالتزام والصمود ومواجهة صفاقة المعارضين والمعترضين لها في إدارة ثانوية شوقي بالدار البيضاء، فاقترحتْها أم البنين زوجة لأحد شبابنا وتم ذلك، ولكنها توفيت شهيدة - إن شاء الله تعالى - أثناء وضعها حملها الأول، رحمها الله وأحسن مثواها في الجنة.

أما ردود فعل بعض إخوتنا على نجاح أولى خطوات تأسيس الجناح النسوي، فكان أولها أن عرض أحد الإخوة الوعاظ نفسه للحضور في جلساتهن ووعظهن فرفضت ذلك، فاقترح أن يجعل بينه وبينهن حاجزا من إزار وغيره، فرفضت ذلك أيضا، وطلبت منه أن يرسل زوجتيه أو إحداهن مع ابنته إلى جلسات يوم الجمعة المقبلة مع الفتيات ولكن ظروفه لم تكن تسمح بذلك فاعتذر، وأفهمته أن المجتمع لا يرحم وليس من الحكمة أن نفتح ثغرة للشيطان أو لِقالَةِ السوء، وهم كُثْر، وحركتنا حديثة النشأة هشة العود، وأن الفتيات أمانة، وليس لنا شرعا أن نجالسهن أو أن نشجعهن على الاختلاط بالذكور، والمجتمع ما نرى، كله اختلاط وما ينتج عن الاختلاط، إلا من رحم الله؛ بهذه الصرامة في حفظ الجناح النسوي تأسيسا وتسييرا نشأ جيل من الفتيات الرائدات الصادقات، وعلى هذا النهج سار حازما في التزامه سليما في عقيدته، مكتفيا بنفسه ورائداته الأوليات، بعيدا عن الذكور مربين أو مرشدين أو ناصحين، فاتنين أو مفتونين. ثم تكفَّلَتْ كلٌّ فتاة آنست من نفسها القدرة على تربية غيرها بتكوين خلية من فتيات حيها الذي تسكنه أو مدرستها التي تدرس بها، وقامت بالإشراف عليها تربية وتعليما وتقويما، إلى أن حلت محنة سنة 1975 وهاجرت زوجتي وأبنائي إليَّ اضطرارا، فانفرط

جمع هذا الجناح، وانعزلت رائداته ومريداته للعناية ببيوتهن وأزواجهن وأبنائهن، مما قد تتاح فرصة بيان أسباب ذلك مستقبلا إن شاء الله، فتُرِكَتِ الساحة للذئاب الملتحية ورائدات الحزبية السافلة، ومضلِّلي التَّمَشْيُخ الانتهازي المنحرف، وما يوم حليمة بسر.

كرنولوجيا تأسيس الحركة الإسلامية المغربية

(الحلقة التاسعة)

كان زخم معاداة النظام الملكي يشتد تصاعديا، ويظهر أثره بين طلبتنا، ولكنهم لا يجدون جوابا عند الإخوة المعلمين المشرفين عليهم، لا سيما ومستوياتهم السياسية ما ذكرت في حلقة سابقة، وإذ يرفع الطلبة اليساريون بدائل الصراع الطبقي وحكم البروليتاريا، لا يجد أبناؤنا لدى المشرفين على تربيتهم بديلا سياسيا إسلاميا مقنعا، أو تسفيها لمقولات اليسار مُقْنعا، سوى السخط الأبكم على النظام القائم، فلجأت إلى تكوين لجنة من نابهي الإخوة المعلمين لمدارسة الجانب السياسي في الإسلام، لأنه كان موضوع الحوار الحاد بين طلبتنا والطلبة اليساريين، وكانت النتيجة أن اكتشفنا فقرا سياسيا رهيبا في الفكر السياسي لدى المسلمين، واضطررنا لمراسلة بعض الحركات الإسلامية في المشرق فأمدونا ببعض دراساتهم الداخلية حول الشورى فإذا هي بعيدة عن روح الإسلام إذ تجعل الشورى غير ملزمة، والأمة بيد الحاكم بمثابة الفتاة البكر بيد وليها، إذنها صماتها، والنظام السياسي لديهم ما بين ديمقرطية متأسلمة أو إسلام مُدَمَقْرَط، فعكفنا على مراجعة للفكر السياسي الإسلامي أعد لها كل نصف شهر دراسة نناقشها فيما بيننا إلى أن يتبين للجميع الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.

ثم حاولت أن أفتح ثغرة على الصحافة الإسلامية في المشرق علها تفتح لأبنائنا مجالات للتفاعل الفكري مع إسلاميي العالم، فكان أن اتصلت برئيس تحرير مجلة المجتمع الكويتية للاشتراك فيها ولكنه تطوع بإرسال عشرين نسخة كل أسبوع من أي عدد يصدر، نوزعه على إخوتنا الطلبة والمعلمين، واتصلت بمدير تحرير صحيفة الشهاب الأسبوعية اللبنانية الأستاذ إبراهيم المصري فتطوع بإرسال عشرين عددا من صحيفته كل أسبوع مجانا، واقترح بعض الإخوة بدل توزيع الصحيفتين مجانا بيعها في مكتبة الأخ سعيد أصواب وإنفاق ثمنها على الحاجات الدراسية لطلبتنا الفقراء، فتم ذلك.

إلا أن تبني الصحيفتين وبيعهما أثار علينا كذلك ما كنا نتلافاه من حساسية الصراع بين التوجه الإسلامي لدينا والزخم اليساري السائد، ظهرت هذه الحساسية لدى بعض شبابنا من الذكور والإناث، فجاءني أحدهم غاضبا وفي يده مجلة المجتمع مزدانة بصور أمير الكويت وعبارات الولاء له، مستنكرا تبني هذه المجلة، فبينت له خلفية بيعها في مكتبة محسوبة علينا، وأنها لا تمثل نهجنا، وكذلك الموقف لدى الجناح النسائي إذ جاءت إحداهن إلى زوجتي التي تشرف عليها بنفس الموقف ونفس الاستنكار.

أما الحساسية الثانية التي أثيرت فحين شاركت في مؤتمر الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض وانتخبت عضوا في لجنتها العليا ونشر الخبر في صحيفة الشهاب التي تأتينا نسخ منها، فأغضب حضورى شابا من خيرة شبابنا في إحدى ثانويات عين الشق، وعندما أعرب أثناء غيابي عن عدم رضاه بمشاركتي، وسأل أحد كبار إخوتنا كذب عليه زاعما أن الاسم المنشور في صحيفة الشهاب لوزير خارجية اليمن محمد صالح مطيع، وكانت بذلك أول كذبة ارتكبت وأخلت بما ندعو إليه، وعندما عدت من السعودية، وسمعت الخبر سعيت إلى الشاب وكان قد انقطع عن حضور خليته، فوجدت أن الأمر بينه وبين إخوته قد تطور إلى عدوان عليه بتحريض ممن تضايق بملاحظته، فبذلت جهدى لاسترضائه وتطييب خاطره ببيان حقيقة مشاركتي ومبرراتها واعتذاري عما وقع بما لم يقنعه، فلم أفلح، وخسرنا شابا يافعا من خيرة الشباب، أسأل الله له التوفيق والنجاح ومزيد الصدق إن كان في الحياة، والرحمة والمغفرة إن كان الله قد توفاه إليه. وكانت هذه الحادثة فرصتنا لأخذ درس عملي من خطإ كبير مقتدَى به وصواب صغير مقتدِي. وعلى رغم ما نبهنا عليه فيما بيننا من ضرورة تحري الصدق في كل معاملة بيننا وبين الشباب، فقد واصل أخونا تلفيق بعض المعاذير لحل أي إشكال يواجهه مع الشباب، مما اضطرني إلى تعنيفه مرة، فكف عن ذلك، ولكن لاحظت أن بعض من كان يرعاهم ظهرت عليهم نفس الأعراض في كبرهم. نسأل الله لنا ولهم المغفرة إن كانوا في الحياة والرحمة إن كانوا أمواتا.

وفي شهر يونيو من سنة 1971م (1391 هـ) دعيت لإلقاء محاضرة في معسكر شبابي للطلبة المسلمين في غرناطة، فأخذت معي أخوين طيبين عاقلين، كي ينفتحا على هذا المجال من النشاط الثقافي العالمي، فكان فرصة أخرى للتعلم والخبرة لاسيما وسوف يحضرها عالمان مشهود لهما بالصدق والفقه هما الشيخ ناصر الدين الألباني من سوريا والشيخ زهير الشاويش من لبنان رحمهما الله وأسبل عليهما شآبيب المغفرة،

وقضينا قريبا من أسبوع في إحدى غابات غرناطة، يؤمنا في الصلاة الشيخ ناصر الدين الألباني الذي ألقى محاضرة حول "حجية أحاديث الآحاد" كما ألقى الشيخ زهير الشاويش محاضرة حول واقع الحركة الإسلامية في لبنان وألقيت بدوري محاضرة حول واقع الحركة الإسلامية في المغرب طورتُها فيما بعد إلى مقالة نشرتُها بمجلة الغرباء الصادرة في لندن تحت عنوان " المغرب في دوامة الصراع"، وكان مما جاء فيها أن المغرب يعيش على بركان قد ينفجر في أي لحظة، وأنه على أبواب انقلاب عسكري محتمل، فلم يجد واحد ممن أخذتهم معي إلى المؤتمر حرجا في مقاطعتي مستبعدا ما ذكرته عن المغرب، وصرفت النظر عن تدخله معتذرا عن عدم متابعته للأوضاع السياسية وانشغاله بالفقه، إلا أنها كانت أيضا فرصة لتعرية ما نحن فيه من فقر سياسي، وقصر نظر، ومن عجيب الصدف أننا بمجرد عودتنا إلى المغرب فوجئنا بانقلاب الصخيرات على الحسن الثاني الذي وقع يوم السبت 18 جمادى الأولى 1391 (10 يوليو 1971م) فجاءني الأخ المعترض على تحليلي معتذرا.

كرنولوجيا تأسيس الحركة الإسلامية المغربية

(الحلقة 11)

عندما بدأت تظهر آثار دعوتنا في المدارس والثانويات والمساجد والشوارع، سُنَّت ضدنا الرماح والسكاكين، وشُنَّت علينا حملات التشكيك، كما هي حال كل دعوة صادقة عبر التاريخ، ولكن لم تؤثر في براعمنا من الشباب إلا الحملات الفكرية السياسية التي كان يقوم بها الطلبة العقائديون، علمانيين واشتراكيين وشيوعيين، كانوا يتحدون شبابنا بسؤال وجيه حول هدفهم فلا يجدون لديهم إلا جوابا تقليديا عاما من شعارات إسلامية متراكمة، وإشادة برموز إسلامية تاريخية عادلة، ونقد للنظام القائم، فإن سئلوا عن البديل الذي يريدون إقامته في البلاد لم يجدوا لديهم جوابا مقنعا، فإن رجعوا إلى الإخوة المعلمين كذلك لم يجدوا لديهم جوابا شافيا، كما هو الحال لحد الآن لدى كثير من الإسلاميين شيبا وشبابا، فاضطررت لتكوين لجنة عقدية سياسية من الإخوة المعلمين لدراسة هذا الإشكال وإيجاد حلول شافية له، وتكفلت بكتابة بحث كل خمسة عشر يوما، أقدم فيه لهذه اللجنة المستحدثة خلاصة دراستي للتاريخ السياسي لدى المسلمين، بدءا من أرضيتهم السياسية في الجاهلية إلى العصر الحديث، لاستخلاص العبر منه بكل حيادية وموضوعية، لا سيما وقد سبقت لي دراسة هذا التاريخ في مطلع يفاعتي وشبابي، ودرَّسته مع مادة الفقه واللغة العربية في ثانوية الأمير عبد الله بالدار البيضاء سنة 1959 وثانوية ابن عباد بسطات سنة 1960، واستوعبته من قبل مناضلا في الحركة الوطنية في عهد الاستعمار وبعده،، كما شملت هذه الدراسات النظم السياسية التي قامت في مجتمعات غير المسلمين منذ بروز الفكر السياسي لدى الإنسان في أروبا وآسيا؛ ثم انتقلت معهم إلى دراسة الفقه السياسي لدى فقهاء المسلمين وفلاسفتهم، دراسة نقدية تسعى لتحديد أوجه الخلل السياسي الذي عاق النهضة وأسقط بلاد المسلمين قرونا في التخلف والجهل والمرض والضعف، وقرونا أخرى تحت سنابك الغزو الأروبي فرنسيا وبريطانيا وهولنديا وبلجيكيا وألمانيا...

هذه الدراسات التي كنت أقدمها للإخوة المعلمين، كانت تتخلل التاريخيةَ منها نقاشاتٌ حادة بينهم تنتهي غالبا بالتوافق، خاصة عند مناقشة أحداث التاريخ، ونقاشات أخرى أكثر حدة عندما نحاول استخلاص النتائج ونتساءل عن البديل، فيتساءل بعضهم أحيانا عن علاقة ما ندرس بالإخوان المسلمين، أو عن فكر حزب التحرير أو عن حركة

الخوارج في الإسلام، إلا أنه بعد فترة تم الاستيعاب للنهج، وأخذت معالم الطريق تتضح، وفهموا حينئذ أننا بصدد تأسيس حركة إسلامية إحيائية رائدة، وأننا نحاول استكشاف منهج سياسي للحكم نستضيء به في حركتنا ونبشر به، ونرد به على فصائل المعارضة التي تتحدى بسؤالنا عن البديل السياسي الذي نهضنا من أجله وندعو له.

وفي الوقت الذي كرسته لبناء الخط السياسي والفكري لحركتنا تركت للإخوة المشتغلين بالوعظ مهمة التربية الفقهية للشباب، إلا أن هذه المهمة اصطدمت بفتنة ظهور وعاظ متمكنين ترسلهم بعض الدول العربية والمشرقية بتنسيق مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، فاختلطت بذلك التوجهات المذهبية والجدل الفقهي في المساجد بين أتباع المذهب الحنفي التي بدا منها بروز متميز في جماعة التبليغ، وبين السلفيين الذين برز نجمهم بدعم من السعودية، وبين الوعاظ المحليين الذين أعادت تنشيطهم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، فتحولت المساجد إلى حلبة لصراع المذاهب مظهرا، وصراع السياسات جوهرا، وكان من أكثر ما ثار الجدل حوله في مساجد الدار البيضاء ثم شاع وذاع في المغرب كله، ودام الحوار حوله في المساجد أكثر من سنة، وتنوعت حوله الفتاوى، هو موضوع ذكاة الحلزون أو "البوش" الذي يباع للفقراء في الأسواق الشعبية، والجراد الذي يجتاح المنطقة المغاربية أحيانا فيسلق ويباع كذلك للفقراء.

لقد كان الأمر يبدو عفويا لولا أن اتضح أن جهة أخرى تعبث في الساحة الإسلامية، إذ عمد طالبان اثنان كانا في النقابة الوطنية الماركسية اللينينة المتطرفة للتلاميذ، وحاولا الانضمام إلينا .. إلى اقتحام المسجد اليوسفي بأحباس الدار البيضاء والشيخ أبو بكر الجزائري المبتعث من دار الإفتاء السعودية بالتنسيق مع وزارة الأوقاف الإسلامية المغربية يلقي درسه على المنبر- وقاما باستفزازه ثم شتماه وأمسكا بلحيته وأوهماه أنني الذي حرضتهما على ذلك، وأنا لا علم لي بالموضوع مطلقا، إلا بعد وقوعه، فكانت النتيجة أن قام الشيخ أبو بكر الجزائري بجولة في المغرب من وجدة في الشرق إلى تطوان وطنجة في الشمال إلى مراكش في الجنوب يلقي فيها دروسا دينية يتخللها الهجوم علي باسمي الشخصي على المنابر، وينعتني بأشنع الأوصاف من قبيل: "متطرف متشدد عاص لأمير المؤمنين..."، فلم أرد عليه علنا ولا سرا، ولم أزره، واتخذت وضع الذي لا يسمع ولا يعلم حتى رجع إلى السعودية وظننت أن فتنته انطفأت، ولكن بعد هجرتي إلى السعودية استثمر إدريس البصري - عليه وعلى من أعانوه علينا ما

يستحقون - غضب الشيخ أبي بكر الجابري رحمه الله فأرسلوا إليه أحد شباب حركتنا الذين استقطبهم ضابط الشرطة الخلطي وطلبوا منه محاولة طردي من السعودية وتحريض الشيخ ابن باز عليَّ، ظانين أنه هو الترس الذي يحميني فيها، إلا أنه كان يعرفني جيدا فأصلح بيني وبين الشيخ أبي بكر رحمه الله، وباءت محاولة الاستخبارات المغربية بالفشل، والحمد لله.

كرنولوجيا تأسيس الحركة الإسلامية المغربية

(الحلقة 12)

أثارت هذه الحلقات التأسيسية الموجزة المتتالية ولو لم تكتمل بعد، جدلا كثيرا، بين مختلف الأوساط المهتمة بتطورات الحركة الإسلامية المغربية ومآلاتها، وكان إيجازها أكثر إثارة وتأثيرا لأسباب منها: 1 - أنها تجنبت ذكر الأسماء فلم تسقط في شخصنة الأحداث ولم تفتح أبوابا للجدل والانزلاق إلى ما يريده المغرضون من أي جهة. 2 - وأنها فتحت المجال لذوي النوايا الحسنة كي يستفيدوا من إيجابيات التجربة وسلبياتها، ومن الأخطاء العفوية المرتكبة، والخيانات المتعمدة في حقها منذ أول نشأتها، فيحاولوا النهوض بحركتهم من جديد، وتطويرَها بما يناسب الظروف المستجدة في الداخل والخارج. 3 - وأنها قطعت على محاولات الأجهزة الأمنية وبيادقها، وعلى صغار العقول والهمم من مختلف الأعمار، طريق التعتيم والتزوير والتحريف والتوظيف لتاريخ الحركة، من أجل أغراض استخباراتية مؤذية أو أهداف سياسية وضيعة، أو مكاسب ارتزاقية صغيرة لا تتجاوز أرنبة أنوف قوم وجيوبهم. 4 – وأنها ذكرت إخوتنا الصادقين الذين أذهلتهم الصدمات المتوالية فانعزلوا يتأملون ويبحثون عن الطريق، مع أن الطريق أمامهم سالكة، لا يعوقهم فيه إلا ترددهم وحيرتهم الطارئة. 5 – وأنها فتحت المجال للأمل في وجه من أخطأ في حق حركته بالخيانة المقصودة أو غير المقصودة كي يكفر عما ارتكبه، صادقا مع ربه قبل أن يكون صادقا مع حركته وقدماء زملائه، معترفا بأن جهوده التخريبية المقصودة وغير المقصودة والمرتكبة بدوافع شخصية أو عن غباء عقدي وسياسي، أو دوافع جهات استخباراتية لم تفلح ولن تفلح مطلقا، لسبب واحد ووحيد هو أن حركتنا ليست ملكا لشخص أو حاكم أو حزب أو ذي سلطان من البشر، وإنما هي لله وحده منذ نزلت على سيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم، ترفرف على رأسه وعليها راية خفاقة وأمر واجب الطاعة والامتثال هو قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} المائدة 67، ومنذ تشربتها عنه البشرية جيلا بعد جيل، وتستمر بفضل الله حية إلى يوم القيامة، من حاول كسرها انكسر، ومن تعمد بترها بُتِر، ومن رام فتنتها فُتِن، ومن عمل على إنهاء دورها المرسوم لها في الكتاب والسنة أنهى الله دوره الإيجابي في الحياة، ومن تعمد

تشويهها شاه وجهه وتشوه، منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة تراب ثم استقبل خصوم دعوته في حنين ودعا: (شاهت الوجوه)؛ وقد أرانا الله سبحانه بفضله أثر دعوته صلى الله عليه وسلم على خصوم عقيدته المعاصرين واضحا بَيِّناً في داخل الوطن وخارجه، ومن شك في ذلك قيد أنملة عليه أن يستعرض أسماء طيلة خمسين سنة هي عمر حركتنا، أسماء ارتفعت وانخفضت، أو انتفشت ثم نُتِفت، أو فرحت ثم اكتأبت، أو تكبرت ثم تصاغرت، ليتبين له أن العمل مع الله خير من العمل مع البشر.

6 – ومنها أن الجيل الصاعد من الشباب الإسلامي الذين لم يعاصروا مرحلة التأسيس ازدادت وتزداد تباعا – إن شاء الله - معرفتهم بظروف حركتهم الأم وما اعترضها، فتتضح لهم سبل المحسنين والمجرمين، ولا يسقطوا فيما سقط فيه السابقون. 7 – ومنها وهو الأهم ما رصده العدو قبل الصديق والكاره قبل المحب، مِنْ تحرُّكِ أصحاب الهمم العالية يتساءلون عن منهج موحد لحركتهم الإسلامية الناهضة المتجددة، مع أن المنهج واضح، لا يحتاج في مرحلتنا الحالية إلى توضيح، ولا يحتاج فيها نظرا لتنمر الخائفين والمتوجسين والحاقدين والحاسدين والمتحفزين للانقضاض، إلا لأن يعتبر كل منا نفسه حركة إسلامية قائمة تسعى، لا سيما والأصل واضح وواحد والمنهج واضح وواحد، والهدف واضح وواحد، بذلك تضيع المعالم في وجه كل من يريد بدعوة الله السوء، وتنكسر شوكة المغرضين والمأجورين والمتاجرين والسماسرة من داخل والوطن ومن خارجه.

كرنولوجيا تأسيس الحركة الإسلامية المغربية

(الحلقة 13)

كانت برامج التربية والتنظيم لدينا بادئ الأمر تضطرب في كل صيف، بسبب الإجازات السنوية للمدارس وانشغال المدرسين والطلبة براحتهم وأسفارهم العائلية والشخصية، وكان علينا أن نتأقلم مع هذه الظروف كيلا ينفرط جمعنا الحديث، وتضعف تربية بعض شبابنا الهشة، فرأيت أن نستحدث برامج تجمع بين الدعوة وبين تلهف الشباب إلى الراحة، فكان ما سميناه كتائب الدعوة، وهي أن يشتغل كل عضو - مدرسا كان أو طالبا - بنشر دعوتنا وطريقة عملنا التنظيمي في كل منطقة يسافر إليها أثناء إجازته، وعند العودة نعقد فيما بيننا ندوات مغلقة نستعرض فيها نتائج ما حصلنا عليه تقويما وتعميقا للتجربة.

أثمرت هذه الفكرة إذ نفذت أحسن النتائج، لا سيما في شمال المغرب، لأن عددا كبيرا من إخوتنا المدرسين في حي بورنازيل بالدار البيضاء كانوا من الشمال وفيهم إخوة صادقون مثل الأخ التايدي والحاج الحداد وأخيه عبد النور واشبابو وغيرهم ممن يعرفهم الله ويجزيهم بعملهم، فكانوا يعودون أهلهم كل صيف وينشرون الفكرة وطريقة العمل. وبذلك أيضا بلغ أثر حركتنا مختلف المدن والقرى الأخرى، نظرا لأن مدينة الدار البيضاء بصفتها المركزية وكثرة سكانها تمثل كل العناصر الاجتماعية والسياسية والثقافية الفعالة في المجتمع المغربي ولها امتداد وثيق في كل المدن والقرى والمداشر.

ثم بتعاون مع ممثلية وزارة الشبيبة والرياضة رُخِّص لنا باستعمال بعض المخيمات الشبابية التابعة لها والبعيدة عن الشواطيء تجنبا للاختلاط بما يكون فيها من عري، فنظمنا في عدد منها مخيمات لباقي شبابنا، ووضعنا لها برامج ترفيهية ورياضية وتربوية وتعليمية، فتطورت الفكرة إذ طبقت وانتشرت وصارت عادة متبعة في كل صيف.

ثم انتدبت بعض الشباب المتحمس فأرسلته أثناء إجازته إلى بعض المدن المغربية يحاول أن يؤسس أرضية لدعوتنا فيها، فكانت وجدة ومراكش وابن أحمد وأكادير وكانت البركة في كل هذه الخطوات، على رغم الصعوبات التي واجهتنا فيها.

أما مدينة الرباط وكانت شبه موصدة في وجهنا بسبب تركيز النظام على حمايتها أمنيا وسياسيا، فقد قررنا اقتحامها بعزم وتركيز، فكلفت من طلبتنا في الرباط أخا طيبا ودودا يدعى "علي باحني" من سكان حي يعقوب المنصور، باستئجار بيت ناء عن الأحياء السكنية لمدة شهر، وجمعت حوالي عشرين شابا من شبابنا الفعال في الدار البيضاء، وأقمنا جميعا في البيت طيلة الشهر عاملين في الرباط لنشر دعوتنا وتنظيمنا؛ قسمت الطلبة بالتناوب إلى فريق يرعى البيت نظافة وترتيبا وإعدادا للطعام وتوفيرا للحاجيات، وفريق ينتشر بعد الإفطار كل صباح في مساجد الرباط وأحيائها للدعوة والتنظيم، وفي المساء بعد صلاة العشاء أجتمع إليهم لدراسة حصيلة العمل اليومي وتوثيقه، وتعميق تجربته وتلافي أخطائه، ووضع خطط العمل لليوم الموالي، فكانت نتائج ما قام به الشباب طيبة ومباركة، على رغم ما شابها من سلبيات العمل في مجتمع هو الحديقة المباشرة للنظام، وذلك ما قد تتاح فرصة دراسته واستنتاج العبر منه مستقبلا إن شاء الله في القسم الثاني من هذه الخطوات.

مؤسس الحركة الإسلامية المغربية

فضيلة الشيخ عبد الكريم مطيع الحمداوي الحسني الهاشمي

الحركة
الحركة الإسلامية المغربية